السنة الثَّلاثون والست مئة

فيها فتح الكامل آمد، وكان قد ضربها بالمجانيق، وأنذر صاحبها [الملك][1] المسعود مودود بن الصالح، وأعطاه إقطاعات كثيرة، فلم يلتفت، فلما رأى الغَلَبة خرج إلى الكامل، وفي رقبته منديلٌ، فوكل عليه، ودخل البلد، وتسلَّمه، واستولى على أمواله وذخائره، وطلب منه تسليم القِلاع، فَسَلَّم الجميع، وبقي حِصْن كيفا عاصياً، فبعث الكاملُ الأشرفَ وشهابَ الدِّين غازي، ومعهما صاحبُ آمد تحت الحوطة، فلم يُسَلِّموا، فعذَّبه الأشرفُ عذاباً عظيماً، وكان يبغضه. قال [لي][1] الأشرف: وجدنا في قصره خمس مئة حُرَّة من بنات النَّاس للفراش. ثم سُلِّمت القلعة في صفر.

وعاد الأشرفُ إلى دمشق، وسمع «البخاري» على الحسين بن المبارك بن الزَّبيدي، وتوفِّيت للأشرف ابنة، فدفنها في بُسْتان العلاء بن القلانسي بقاسيون عند دير الحنابلة ظَنًّا منه أن ابن القلانسي لا يتوقف في مثل هذا، [ولو دفنها في داره][1] لأَنَّ الأشرف كان مُحسناً إليه، فَشَقَّ على العلاء، وقال: هذا المكان وقفٌ. وشنَّع، وبلغ الأشرف، فاشترى تُرْبة الشَّرف يعقوب، ونقلها إليها، واشترى لها ملكاً، ووقفه عليها، وسأله المقادسة أن يكون وقفاً عليهم دون غيرهم، فأجابهم، [ثم اجتمعنا عنده بعد ذلك في النَّيرب، فقال][1] له بعضُ أصحابه: قد خصصتَ بهذه الدار المقادسة، ولهم الضِّياع والأوقاف، فالغريب إذا وَرَدَ أين ينزل؟

قال المصنِّف رحمه الله: وكنتُ عنده بالنَّيْرب، فالتفتَ إليَّ، وقال: قال هذا الصحيح، فهل يمكن أن يضاف إلى الوقف ما قال في حَقِّ الغرباء؟ فقلتُ: بعد أن حكم الحاكم لا يجوز تغييره بإجماع الفقهاء، أما قبل حكم الحاكم ففيه خلاف. وكان الكامل بدمشق، فأمر باستئصال ابنِ القلانسي وهلاكه، فقال الأشرف: لا حاجة إلى هذا، بلى لا يدخل عليَّ بعدها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها فُتحت دارُ الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق ليلة النِّصف من شعبان، وأملى بها ابنُ الصَّلاح الحديث، ووقف عليها الأشرف الأوقاف، وبها نعل النَّبي ﷺ.

وفيها نزل ناصر الدين صاحب مارِدِين من قلعته، وجاءته عساكر الرُّوم، فحصروا حرَّان والرُّها والرَّقَّة، واستولوا على الجزيرة، وفعل الرُّوم في الجزيرة ما لا يفعله التتر، وكان القاضي علاء الدين الكردي في المستخدم يتوضأ، فجاءه حجر المنجنيق، فقتله، وكان بالرها.

وفيها توفي

عبد الله بن علي[1]

صفي الدِّين، ابن شُكْر، وزير العادل.

وأصله من الدَّمِيْرة، قرية من أعمال مِصْر، كان وزيراً، مهيباً، عالماً، فاضلاً، له معرفة بقوانين الوزارة، وعلى دولة العادل به جلالة، وعنايته مصروفة إلى العلماء والفقهاء والفضلاء والأدباء، والمدارس في أيامه عامرة، وآلاؤه عليها ظاهرة، والعِلْم نافق السُّوق، ومتجر الاشتغال يانع الأسوق، وأحواله جارية على النِّظام.

ثم انقضتْ تلك السنون وأهلها[2]

وكان مالكيَّ المذهب، محباً لمن في العلم يرغب، وصنَّف كتاباً سماه «البصائر» بَرَّز فيه على الأوائل والأواخر، ومن جُمْلة ما ذكر فيه من فضائل دمشق: قال الصَّادق الذي استحال القول بمَيْنه: «قد وكل الله تعالى بكلِّ بلد ملكاً يحفظه إلا دمشق، فإنَّه يحرسها بعينه»[3].

---

(١) وهم سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٨٠، والصحيح في وفاته أنها سنة (٦٢٢هـ)، وقد ترجم له فيها أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣١١، ٣٨٤-٣٨٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) هذا صدر بيت، عجزه: فكأنها وكأنهم أحلامُ، وهو لأبي تمام في «ديوانه»: ٣/ ١٥٢.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ في دواوين السنة، والله أعلم.

وكان العادل قد انحرف عنه في آخر عمره، ونفاه إلى آمد، فأقام بها حتى توفي العادل، فأرسل الكامل وراءه، فجاء إلى دمشق، ولم يدخلها[١]، ونزل في بيت رانس عند المؤيَّد العقرباني، [وكان في أيام العادل يسير إليه ويجتمع عنده في درب الشَّعارين،][٢] وكان قد قَلَّ نظره، ثم سار إلى مِصْر، ففوَّض إليه الكامل الأمور على عادته في أيام وزارته، فتوفي وهو على حُرْمته، وله بالقاهرة مدرسةٌ مشهورة.

الملك العزيز عثمان بن العادل[٣]

شقيق المعظم [لأبيه وأمه][٢].

كان صاحب بانياس وتبنين وهُونين، والحصون، وهو الذي بنى الصُّبيبة، وكان عاقلاً، قليل الكلام، مطيعاً لأخيه المعظم، وكان بعد موت المعظم قد عامل على قلعة بعلبك في سنة خمس وعشرين [وست مئة][٢] وكتب إليه ولدُ الأمجد يقول: قد نشرتُ باب السِّرِّ، فَسِرْ إلينا وقت السَّحَر. وكان بالصُّبيبة، فساق منها أول الليل، والمسافة بعيدة، فجاءهم وقد طلعت الشمس، ففات الغرض، ونزل مقابل بَعْلَبَك، فبعث الأمجد إلى النَّاصر داود، يقول: قد عرفتَ ما كان بيني وبين المعظم، وكنتُ صديقَ مَنْ صادقه، وعدوَّ من عاداه، وأريد ترحِّل العزيز عني. فأنفذ النَّاصر الغرز خليل إلى العزيز يقول له: ارحل، وقال للغرز: إنْ لم يرحل، فارمِ الخيمة عليه. وعَلِمَ العزيزُ، فرحل إلى بانياس، وما عاد إلى دمشق إلا مع الكامل، فإنه [سار إليه، و][٢] التقاه من القُدْس، وقال: أنا آخذ لك دمشق. فأعطاه مالاً، وأحسنَ إليه، وكان العزيز أحدَ الأسباب الموجبة لأخذ دمشق [من النَّاصر][٢]، وكذا الصّالح إسماعيل، وأيدمر.

وأما صاحب بَعْلَبَك فعلم بما فعل ولده، ووقف على نَشْر الباب، فقال: إنَّه قتل ولده، وقيل: بنى عليه بُنْياناً.

وكانت وفاة العزيز يوم الاثنين عاشر رمضان ببُسْتانه بالنَّاعمة ببيت لهيا، وحمل تابوته، فدفن بقاسيون في تُرْبة المعظَّم [عند والدته وأهله][٢].

---

(١) كان ذلك سنة (٦١٥هـ)، انظر حوادث هذه السنة في هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٤٩، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

[1][وفيها توفي

أبو القاسم علي[2]

ابن جدي أبي الفرج، وهو خالي.

ولد سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكتب الكثير من مصنفات جدي، وهو الذي أظهرها وباعها بثمن بخس، وكان جدي قد سخط عليه بهذا السبب، ومات وهو على ذلك، وكان] فقيراً ليس له إلا ما ينسخ، ويتقوَّت منه، ومع هذا فإنَّ الخليفة كان يعرض عليه المال ولا يقبل منه شيئاً، [ويحكي عنه واقعات سمعها منه الناس وليس لها حقيقة، منها أنه بعث بعض الخلفاء إلى جدي مئة دينار، وأبو القاسم قاعد على الباب، فقال: دخولك اليوم خروجك متى؟ وبلغ جدي، فدعا بالتاجر والخباز والقصاب، وفرقها فيهم، وقال: قولوا لأبي القاسم: اليوم يوم سِباء، لا خِدْر ولا خِباء.

وكانت وفاته في صفر، وتولى خالي أبو محمد تجهيزه وتكفينه، ودفن عند جدي بمقابر أحمد. سمع ابن البطي، ويحيى بن ثابت بن بُنْدار، وأبا زرعة طاهر بن محمد المقدسي، وغيرهم، ومعظم شيوخ أبيه، وسمعنا منه][3].

عمر بن [محمد بن] عبد الله[4]

أبو حَفْص، شهاب الدين، السُّهْرَوَرْدي، وهو ابنُ أخي أبي النَّجيب.

وقد ذكرنا نسبه إلى أبي بكر ﷺ في ترجمة أبي النَّجيب.

---

(١) في (ح): علي بن أبي الفرج أبي القاسم ابن الجوزي، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٠ـ٣٥١ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٢٧ـ١٢٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): ولا يقبل منه شيئاً، وكانت وفاته في صفر، ودُفن في مقابر الإمام أحمد ابن حنبل، ﷺ، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٨٠ـ٣٨١ ، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٣ ، وفيهما توفي سنة (٦٣٢هـ)، ـ وهو الصحيح في تاريخ وفاته ـ وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته، وما بين حاصرتين من (ش).

ولد بسُهْرَوَرْد في رجب سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، ونشأ بين الفقراء على التجريد والرِّياضات والمجاهدات.

قال المصنف رحمه الله: ورأيته في سنة تسعين وخمس مئة يعظ برباط دَرْب المَقْبُرة، ومنبره طين، وعلى رأسه مئزر صوف، ثم تقلَّبت به الأحوال حتى أرسله الخليفةُ مراراً إلى العادل وغيره، وقد أعرض عنه، و[قد ذكرنا أنه][1] أخذ ما كان بيده من الرُّبُط، ومنعه الجلوس، وأقام مدَّة، ثم رضي عنه، وَرَدَّ إليه ربطه، وجلس في رباط عَمِّه أبي النَّجيب، وعاش حتى ضعف بصره، وقيل: ذهب [بمرَّة][1]، فتوفي، ودفن في رباطه عند باب سور بغداد عن نيف وتسعين سنة، [سمع عمه أبا النجيب وابن البطي، ومن يحيى بن ثابت بن بُنْدار، وغيرهم][1].

وكان صالحاً، عابداً، زاهداً، ورعاً، جَوَاداً، سَمْحاً، ملجأ للمكروبين، وحِصْناً للملهوفين، أقام بالشَّام مُدَّة، فكم أغاث من ملهوف، وكم فرَّج عن مكروب، وكان له قَبُولٌ حسن، وانتفع به خَلْقٌ كثير، وصنَّف كتاباً للصُّوفية، سماه «عوارف المعارف» [ذكر فيه من علومهم التَّالد والطَّارف][1]، جلس يوماً ببغداد، فذكر أحوال القوم، وأنشد: [من البسيط]

ما في الصِّحابِ أخو وَجْدٍ نطارِحُهُ حديثَ نَجْدٍ ولا صبٌّ نجاريه

وجعل يردِّدُ البيتَ ويطرب، فصاح شابٌّ من أطراف المجلس، وعليه قَبَاء وكلوتة، وقال: يا شيخ، إلى كم تشطح، وتنتقص بالقوم؟! والله إنَّ فيهم من لا يرضى أن يجاريك، ولا يصل فَهْمُك إلى ما يقول، هلا أنشدتَ: [من البسيط]

ما في الصِّحابِ وقد سارتْ حُمولُهُمُ إلا محبٌّ له في الرَّكْبِ محبوبُ
كأنَّما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ والحيُّ في كلِّ بيتٍ منه يعقوبُ

فصاح الشيخ، ونزل من المنبر، وقَصَدَ الشَّابَّ ليعتذر إليه، فلم يجده، ووجد موضعه حُفْرةً فيها دم، مما فحص برِجْليه عند إنشاد الشَّيخ البيت.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

كُوكُبُري بن عليّ بن بُكْتِكِين[١]

مُظَفَّر الدِّين بن زين الدين، صاحب إرْبِل.

وقد ذكرنا مواقفه مع صلاح الدين، [وأنه خدم صلاح الدين][٢]، وزوَّجه صلاح الدين أُخته، وملَّكه الشَّرْق، وأَنَّ أخاه زين الدِّين مات بالنَّاصرة، وطلب إربل عِوَض حَرَّان، وأعطاه إياها، وبعد موتِ صلاح الدِّين مازال منتمياً إلى بيت العادل، مصافياً لهم، حتى مال الأشرف إلى بدر الدين لؤلؤ، وعَزَمَ على أَخْذِ إربل منه، واستنجد عليه بالخليفة المستنصر، فنهاه عنه، فانتمى إليه، وقَدِمَ بغداد، ومعه مفاتيحُ إربل والقلاع، فالتقاه الموكب، وجلس له المستنصر جلوساً عاماً في صحن السَّلام، وقعد في شُبَّاك المبايعة، وحضر أربابُ الدَّولة، وصَعِدَ على الدَّرْج، وبايع الخليفة، وطلب منه يده ليقبِّلَها، فناوله إياها، فجعل يقبِّلُها ويبكي، ويقول: الحمد لله، هذا مقامٌ ما وصل إليه غيري. وخاطبه الخليفة بأجمل خطابٍ، وقدَّم للخليفة الخيل والتُّحَف والهدايا، وأعطاه الخليفة أضعافَ ذلك، وخلع عليه خِلَع السَّلْطنة، وعاد إلى إرْبل، وقطع خُطْبة بني العادل، واقتصر على خُطْبة الخليفة.

وكان كثيرَ الصَّدقات، غزير البِرِّ والصِّلات، [حكى جماعة عنه أنه كان يقول:][٢] لما أخذتُ إربل آليتُ على نفسي أَنْ أقسم مغلّها ثلاثةَ أقسام: قسم أُنفقه في أبواب البر، وقسم للجُنْد وما يخصُّني، وقسم أَدَّخره لعدوٍّ يقصدني، وكان يعمل في كلِّ سنة مولد النَّبيِّ ﷺ في ربيع الأول، يجتمع فيه أهلُ الدُّنيا، ومن وراء جيحون العلماء والفقهاء والوُعَّاظ والقُرَّاء والصُّوفية والفقراء، ومن كل صِنْف، وتضرب الخيام في المَيْدان، وينزل من القلعة بنفسه، فيقرأ القُرَّاء، ويعظ الوعَّاظ، ويمدُّ سِماطاً أوله عنده وآخره في القلعة، ويحضر الخلائق، فلا يبقى إلا مَنْ يأكل ويحمل، [وحكى لي][٢]

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٥٤، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ١١٣ـ١٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٣٤ـ٣٣٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

مَنْ حَضَرَ بعض السِّنين: عددتُ على السِّماط مئة فرس قشلمش وخمسة آلاف رأس شواء وعشرة آلاف دجاجة، ومئة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلو، ثم يخلع فيه على الأعيان، وتفرق فيهم الأموال على أقدارهم، [ولا يحضر][1] هذا السِّماط أحدٌ من عسكره، إلا أرباب الحرف، ثم يقوم من الميدان، فيدخل الخانقاه وقد اجتمع فيها من الصوفية ما بين ثمان مئة إلى ألف، فيأخذون في السَّماع من الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم، فإذا كان من الغد بعث إليهم من يكتب أسماءهم، وكل شيخ ومعه جماعة، فيعطي المشايخ على قدر طبقاتهم من المئة دينار إلى الخمسين والثلاثين، ولأتباعهم على حدة، ومن شاء أن يسافر، ومن شاء أن يقيم أياماً، وكان قد بنى داراً للمضيف [يدخلها][1] جميعُ الأجناس، لا يمنع منها أحد، ويعطي كل واحد على قدر حاله دائماً، وبنى حيزاً عظيماً، وقسمه أربعة أقسام: مكان للزمنى، ومكان للعميان، ومكان لليتامى، ومكان للمساكين، وأجرى عليهم الجرايات والجوامك والكساوي، وكان يركب كلَّ يوم بكرة، فيدخل إليهم، ويقعد اليتيمة والمسكينة على مخدَّة ويهبها، ويقول: أيش تريدين تأكلين؟ أيش تريدين تلبسين؟ فمهما طلبت أحضره، فإذا كبرت اليتيمة زوَّجها، وأقام لكل واحد من الزمنى من يخدمه، وكان في كلِّ سنة يبعث بالأموال والجواهر إلى الشام مع ديوان، فيشتري بها الأسارى من بلد الفرنج، ويعودون إلى إربل، فيقيمون في قرية على باب إربل [يقال لها بيت النار، فلا يدخلون إربل][1] حتى يجهِّز غيرهم ليلاً، فيقطع عمله، وإذا خلص الأسير أعطوه كسوةً ونفقة توصله إلى أهله، فكان يخلص في كل سنة خلقاً كثيراً، فلما توفي أُحصي ما خَلَّص من الأسارى فكانوا ستين ألف أسير ما بين رجل وامرأة، وكان يبعث في كلِّ سنة بمالٍ يفرق في الحرمين، وعشرة آلاف دينار تنفق في السبيل، وألف دينار برسم جر الماء إلى البرك التي بعرفات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وقالت زوجته ربيعة خاتون: كان ثوبه يساوي خمسة دراهم من خام، فقلت له: لو لبست ألين مِنْ هذا، فإن بدنك ما يحتمل الخشن. فقال: أيما أصلح وأكثر أجراً أنني ألبس ثوباً بعشرة دراهم أو ألبس ثوباً بخمسة دراهم، وأتصدق بخمسة على فقير أو مسكين.

وكانت أمواله قد استنفدتها الصدقات، فكان يرسل الجواهر فيبيعها بدمشق ويشتري الأسارى، وحُكي لي بإربل أنه ينفق على المولد في كلِّ سنة ثلاث مئة ألف دينار، وعلى الخانكات مئتي ألف، وعلى دار المضيف مئة ألف، وعلى الأسارى مئتي ألف دينار، وفي الحرمين وعرفات والسَّبيل ثلاثين ألف دينار، غير صدقة السِّرِّ.

[قلت:[1]] ومع هذه المناقب فما سَلِمَ من ألسنة الناس.

[[2]ويقولون: هذا يصادر ديوانه ودواوينه وكتابه، ويستأصلهم، ولعله اطلع منهم على خيانات، فرأى أخذ الأموال وإنفاقها في أبواب البر والقربات أولى، وذكروا أشياء أُخر، ومن ذا من ألسنة الناس يسلم، اللهم غفراً].

وكانت وفاته في رمضان بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة، فيدفن في حرم الله تعالى، وقال: أستجير به، فحمل في تابوته إلى الكوفة، ولم يتفق رواح الحاج في هذه السنة إلى مكة، فدفن عند أمير المؤمنين علي عليه السَّلام.

وكان أيوب بن الكامل في آمد، وإسماعيل بن العادل في سنجار، فسار كلُّ واحدٍ منهما إلى إربل ليأخذها لنفسه، [وجرى ما لا يليق بين الاثنين[1]]، فسبقهما عسكر الخليفة، فتسلمها، ورجعا بخفي حنين، وكانت قد عصت، وبالقلعة خادمان، ففتحت عَنْوةً، وجرى بها ما لا يجوز من النَّهْب والقَتْل، [والذل والهوان][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): كانوا ينبزونه بأشياء منها أنه كان يصادر دواوينه وكتابه، ويستأصلهم، وذكروا أشياء أخر، والله أعلم..، وما بين حاصرتين من (ش).

[وفيها توفي

ابن العالمة الشاعر

وهو القائل: [من الرمل]

قلتمُ استَبْدَلَ منَّا ونقضْ ... هل لظمآنٍ من الماء عوضْ

شفَّني من بَعْدكم بُعْدكُمُ ... فمتى يُشفى بكم هذا المرضْ

ساءني الجرحُ الذي خلَّفتُمُ ... كلما مُرْهِمَ بالذكر انتقضْ

وقيل: إنها لغيره، وقيل إنه مات في سنة ثلاث وعشرين وست مئة][1].

السنة الحادية والثَّلاثون وست مئة

فيها اجتمع الكاملُ وإخوته، وأسدُ الدين صاحب حِمْص، والعساكر المِصْريةُ والشَّامية، وساروا ليدخلوا بلاد الرُّوم من عند النهر الأزرق، فوجدوا العساكر الرُّومية قد حفظوا الدَّرْبَنْد، ووقفوا على رؤوس الجبال، وسدُّوا الطُّرق بالحجارة والأخشاب، فامتنعت العساكر من الدُّخول. وكان الأشرف ضيِّقَ الصَّدْر من ناحية الكامل، لأنه طلب منه الرَّقَّة برسم عليق دوابه إذا عَبَرَ الفرات، فامتنع، وقال: ما يكفيه كرسي بني أمية. واجتمع أسدُ الدين صاحب حِمْص بالأشرف، وقال: إن حكمَ على الرُّوم أَخَذَ جميع ما بأيدينا. فوقَعَ التَّقاعد، فلما رأى الكامل ذلك عَبَرَ الفرات، ونزل السُّوَيْداء، وجاءه صاحب خَرْتَبَرْت، وهو من بني أُرْتُق، فقال: عندنا طريق سهلة تدخل منها. فجهَّز الكامل بين يديه ولده الصَّالح [أيوب][1] والنَّاصر داود، وصواب الخادم، فما راعهم إلا علاء الدِّين بعساكر الرُّوم، وكان الناصر قد تأَخَّر، وتقدَّم صواب في خمسة آلاف فارس، وقاتل صواب ومن معه، والمُظَفَّر صاحب حماة، [فأسر صواب][1] وقتل منهم جماعة، وانهزم الباقون، وعاد الكامل إلى آمد، ولم يتقدَّم، فأطلق الرُّومي صواباً والأمراء، وأحسن إليهم، فجاؤوا إلى آمد، وأعطى الكامل ولده الصَّالح أيوب حِصْن كيفا، وأقام صواب بآمد، وعاد الكامل إلى الشَّام بالعساكر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).